قصص القرآن (٩)

قصة ذي القرنين قصة أصحاب القرية

قصة أصحاب الجنة قصة أصحاب الأخدود

قصّة أهلِ الكهف

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

قصّةُ ذِي القَرنَينِ

ذُو القَرنَينِ عبدٌ مِن عبادِ اللهِ الصّالحينَ، آتاهُ اللهُ المُلكَ وعُرِفَ بالتّقوَى، فكانَ يَحكُمُ بينَ النّاسِ بالعدلِ، ويَنصرُ المَظلومَ، ويُعاقبُ الظّالمَ. وقَدْ مكَّنَ اللهُ سُبحانَه لَه في الأرضِ، وآتاهُ مِن كلِّ شيءٍ سَببًا، فصارَ يَنشرُ دينَ اللهِ، ويُحقِّقُ العدلَ في مَشارقِ الأرضِ ومَغاربِها.

وقَدْ مرَّ ذُو القَرنَينِ علَى أقوامٍ ضُعفاءَ، يَهجمُ علَيهِم قومُ يأجُوجَ ومأجُوجَ فلا يَترُكونَ مالًا إلّا أخذُوهُ، ولا خَيرًا إلّا نَهبُوهُ، ولا زَرعًا إلّا أَهلكُوهُ. وكانَتْ هجَماتُهُم تتكرَّرُ مِن وقتٍ إلَى آخرَ علَى هَؤلاءِ القَومِ البُسطاءِ الّذين لا يَستطيعُونَ أَنْ يَدفعُوا عَنْ أنفُسِهِمُ الشَّرَّ، أَوْ يَمنَعُوا ذلكَ العُدوانَ.

فلَمّا رأَوْا ذا القَرنَينِ أسرَعُوا إلَيهِ مُستنجِدينَ بِه أَنْ يُخلِّصَهُم مِنْ أُولئكَ الظّالمِينَ، وقالُوا لَه: ﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾؟ [الكهف:٩٤].

فوافقَ ذُو القَرنَينِ علَى مُساعدتِهِم، ولكنَّه رفضَ أَنْ

يأخُذَ مِنهُم أجرًا، لِيكونَ عَملُه خالصًا لوجهِ اللهِ، فقالَ لَهُم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، وتفحّصَ ذُو القَرنَينِ المكانَ بعِنايةٍ حتَّى وجدَ مَكانًا بينَ جبلَينِ، كانَ يدخلُ مِنه يأجوجُ ومأجوجُ علَى هَؤلاءِ القَومِ، أمّا بقيّةُ الأماكنِ حولَ القريةِ فكانَتْ جِبالًا وَعْرةً يَصعُبُ تسلُّقُها أو عُبورُها.

فهَداه تفكيرُه إلَى أَنْ يُقيمَ سَدًّا بينَ الجَبلَينِ، ثُمَّ طلبَ مِنهُم أَنْ يُشعلُوا النِّيرانَ ويَصهَرُوا فيها الحديدَ، وعِندَما فرَغَ مِن بناءِ السَّدِّ صبَّ علَيهِ النُّحاسَ السّائلَ فزادَهُ قوّةً وصَلابةً.

وبعدَ ذلكَ حاولَ قومُ يأجوجَ ومأجوجَ أَنْ يَهجُمُوا علَيهِم كالعادةِ، ولكنَّهُم فُوجئُوا بالسَّدِّ أمامَهُم، فحاوَلُوا أَنْ يَخترِقُوه أَوْ يَصعَدُوا مِن فوقِه، ولكنَّ مُحاولاتِهِم باءَتْ بالفَشلِ، وارتدُّوا علَى أعقابِهِم خائبينَ.

وفرحَ القومُ البُسطاءُ بهَذا السَّدِّ المَنيعِ، وعادُوا يَنعَمُونَ بحَياتِهِمُ الآمنةِ مرّةً أُخرَى. أمّا ذُو القَرنَينِ فقَدْ سَعِدَ بتَوفيقِ اللهِ وعَونِه لَه، وقالَ: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

قصّةُ أصحابِ القَريةِ

أرسلَ اللهُ سُبحانَه رسولَينِ إلَى قريةٍ مِنَ القُرَى، كانَ أصحابُها يَعبدُونَ الأصنامَ ويَتركُونَ عِبادةَ اللهِ سُبحانَه، فلَمّا ذهبَ الرسُولانِ إلَى أهلِ هَـذِه القريةِ، قاما بدَعوتِهم إلَى عِبادةِ اللهِ، لكنَّ أهلَ القريةِ كـذَّبُوا الرَّسولَينِ وازدادُوا كُفرًا وعِنادًا، فأرسلَ اللهُ إلَيهِم رَسولًا ثالثًا ليُؤكِّدَ دعوةَ أَخوَيهِ المُرسلَيْنِ، فلَمْ يَستجِبْ أهلُ القَريةِ، بَلْ كذَّبُوا الرُّسُلَ الثّلاثةَ، وقالُوا لَهُم: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، فقال لهم المُرسلُون: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

فازدادَ أهلُ القريةِ كُفرًا وتَكذيبًا، وهدَّدُوا الرُّسلَ الثّلاثةَ بأنَّهُم سوفَ يَرجُمونَهُم ويُعذِّبُونَهُم إِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَن دَعوتِهم. وبَينَما هُم كذلكَ جاءَ رجلٌ مِنَ القريةِ، وكانَ قَدْ أَسلمَ واتَّبعَ الرُّسلَ الثّلاثةَ، فأَسرعَ إِلَى قَومِه يَحُثُّهُم علَى الإيمانِ، ويَقولُ لَهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

وأخذَ يَدعُو قومَه إِلَى الإيمانِ باللهِ سُبحانَه، ويُبيِّنُ لَهُم

عاقبةَ عِبادةِ الأصنامِ، فقالَ لَهُم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾، فلَمْ يَستجِبْ قومُه لِنَصيحتِه ولَمْ يَهتمُّوا بِكلامِه، وأَخذُوا يَضربُونَه ويُعذِّبُونَه حتَّى قتلُوه، فجعلَ اللهُ الجنةَ مَثواهُ ومأواهُ.

ثُمَّ أنزلَ اللهُ سُبحانَه العَذابَ علَى أصحابِ هَذِه القريةِ؛ فأرسلَ علَيهِم صَيحةً واحدةً أهلكَتْهُم، فماتُوا جَميعًا. يَقولُ تَعالَى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾.

قصّةُ أصحابِ الجنّةِ

هُم إخوةٌ ماتَ أَبوهُم، وتركَ لَهُم بُستانًا جَميلًا فيهِ الكثيرُ مِنَ الثِّمارِ، وكانَ هَذا الأبُ صالحًا كريمًا، يَعطِفُ علَى الفُقراءِ والمَساكينِ؛ فلَمّا ماتَ الأبُ وَرِثَ أَولادُه هَذا البُستانَ، وعاشُوا جَميعًا في انتظارِ يومِ الحَصادِ لِيَبيعُوا ويَكسِبُوا مِن وَرائِه أَموالًا كَثيرةً.

وجاءَ يَومُ الحَصادِ المُنتظَرُ، وحرَصَ الأبناءُ علَى حِرمانِ الفُقراءِ مِن ثِمارِ هَذا البُستانِ، واتَّفقُوا علَى أَنْ يَستيقِظُوا

مُبكِّرينَ؛ لِيَجمعُوا الثِّمارَ والمَحصُولَ مِن بُستانِهِم قبلَ أَنْ يأتيَ إلَيهِمُ الفُقراءُ والمَساكينُ. يَقولُ تَعالَى: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢١-٢٥].

فلَمّا وَصلُوا إلَى مكانِ بُستانِهِم ونظرُوا حولَهُم لَمْ يَجدُوا إلّا خَرابًا ودَمارًا؛ لقَدْ تحوَّلَ بُستانُهُمُ الجَميلُ إلَى أَرضٍ لَيسَ فِيها زرعٌ، فتشكَّكُوا في أَمرِهِم.

ومِن شِدّةِ دَهشتِهِم حَسِبُوا أَنَّهُم ضلُّوا الطَّريقَ. ولَمّا زالَ عَنهُم أثرُ المُفاجأةِ، وتأكَّدُوا مِن خرابِ أَرضِهِم وهَلاكِ زَرعِهِم، عَلمُوا أنَّ الخَرابَ الَّذي لَحِقَ بِهِم إنَّما هوَ عِقابٌ لَهُم أنزلَه اللهُ ببُستانِهِم لَيلًا وهُم يُدبِّرُونَ أمرَهُم، يَقولُ تَعالَى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

ودخلَ الإخوةُ في عِتابٍ شَديدٍ ولومٍ عَنيفٍ، يُريدُ كلٌّ مِنهُم أَنْ يُبرئَ نفسَه، ويُلقيَ باللَّومِ علَى الآخَرينَ.

وتعالَتِ الأصواتُ، فقالَ أحسنُهُم سُلُوكًا وأرجحُهُم عَقلًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؟ وهُنا يَعودُ إلَيهِم رُشدُهُم، ويَعلمُون

أَنَّهُم إنَّما حُرِمُوا الرِّزقَ بذَنبِهِم فاعترَفُوا بذَنبِهِم، وقالُوا: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾! وأخذَ يَلومُ بعضُهُم بَعضًا علَى ما فعلُوا، ويقولُونَ: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾.

فاللهُ سُبحانَه لا يَضيعُ عِندَه حقُّ الضَّعيفِ أَبدًا، وقَدِ انتقمَ للفُقراءِ والمَساكينِ، وحلَّ العَذابُ والعِقابُ بهَؤلاءِ نتيجةَ ذَنبِهِم لِيتوبُوا، ومَن أصرَّ وأسرفَ كانَ لَه العَذابُ في الدُّنيا والآخرةِ.

قصّةُ أصحابِ الأُخدودِ

في قديمِ الزَّمانِ، عاشَ مَلِكٌ ظالمٌ، وكانَ لَه ساحرٌ، فلَمّا كبِرَ الساحرُ قالَ للمَلِكِ: إنِّي قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، فابعَثْ إلَيَّ غُلامًا لِأُعلِّمَه السِّحرَ. فبحثَ المَلِكُ عَن غُلامٍ ذكيٍّ، وبَعثَ بِه إلَى السّاحرِ ليَتعلَّمَ مِنهُ.

وكانَ في الطَّريقِ بينَ بَيتِ الغُلامِ وبينَ السّاحرِ راهبٌ يَعبدُ اللهَ سُبحانَه، فجلسَ عِندَه الغُلامُ وسَمعَ كَلامَه عَنِ الإيمانِ وعِبادةِ اللهِ الواحدِ الأحَدِ، فانشرحَ قلبُه لِنُورِ الإيمانِ وظلَّ يتردَّدُ علَى الراهبِ، ويَقضي معَه وَقتًا طَويلًا يَتعلَّمُ مِنهُ.

فكانَ إذا أتَى أهلَه مُتأخِّرًا ضربُوه وقالُوا لَه: أَينَ كُنتَ؟ وما الَّذي يُؤخِّرُكَ عَنّا؟ وإذا أتَى السّاحرَ ضربَه أَيضًا لتَأخُّرِهِ، فاشتكَى إلَى الرّاهبِ، فأَشفقَ علَيهِ، ثُمَّ قالَ لَه: يا بُنيَّ إذا أرادَ أهلُك أَنْ يَضربُوكَ فقُلْ لَهُم: كُنتُ عِندَ السّاحرِ. وإذا أرادَ السّاحرُ أَنْ يَضرِبَكَ فقُلْ لَه: كُنتُ عندَ أَهلي.

وفي يومٍ مِنَ الأيّامِ كانَ الغُلامُ سائِرًا، فوجدَ النّاسَ واقِفينَ، وقَدْ ملأَهُمُ الخَوفُ، وانتابَهُمُ الفَزَعُ، فنَظرَ فإذا وَحشٌ مُفترِسٌ قطعَ علَيهِمُ الطَّريقَ، فلَمْ يَجرُؤْ أحدٌ علَى المُرورِ. فقالَ الغُلامُ: اليَومَ أعلمُ السّاحرُ أفضلُ أَمِ الرّاهبُ أفضلُ؟ فأخذَ حَجَرًا ثُمَّ قالَ: اللَّهمَّ إِنْ كانَ أَمرُ الرّاهبِ أحبَّ إلَيكَ مِن أمرِ السّاحرِ فاقتُلْ هَذِه الدّابّةَ حتَّى يَمضيَ النّاسُ، ثُمَّ رمَى الوحشَ بالحَجَرِ، فوقعَ قَتيلًا.

تَهلَّلَ وجهُ الغُلامِ مِنَ الفَرحةِ، وأسرعَ إلَى الرّاهبِ، فقصَّ علَيهِ ما حدَثَ، فأشفقَ الرّاهبُ علَى الغُلامِ وعَلمَ أنَّه سيتعرَّضُ للبلاءِ، فقالَ في نبرةٍ مِلؤُها الرحمةُ والإخلاصُ: أَيْ بُنيَّ أنتَ اليومَ أفضلُ مِنّي، قَدْ بلغَ مِن أمرِكَ ما أَرَى، وإِنَّكَ ستُبتلَى، فإِنِ ابتُليتَ فلا تَدُلَّ علَيَّ.

وجعلَ اللهُ شِفاءَ النّاسِ علَى يَدِ الغُلامِ، فكانَ يَشفي

الأعمَى والأبرصَ وسائرَ الأمراضِ، بإذنِ اللهِ، وذاعَ صِيتُ الغُلامِ في المَدينةِ. وكانَ للمَلِكِ جليسٌ أَعمَى، فلَمّا سَمعَ بأمرِ الغُلامِ ذهبَ إلَيهِ ومعَه أَثمنُ الهَدايا، وقالَ لَه: كلُّ هَذِه الهَدايا لكَ إنْ أَنتَ شَفيتَني. فقالَ الغُلامُ: إنِّي لا أَشفي أَحدًا، إنَّما يَشفي اللهُ تَعالَى، فإنْ آمنْتَ باللهِ دعوتُ اللهَ فشَفاكَ.

فآمنَ الرجلُ، فدَعا لَه الغلامُ فشَفاهُ اللهُ. وذهبَ الرجلُ إلَى مجلسِ المَلِكِ، واتَّخذَ مكانَه المُعتادَ، فلَمّا رَآه المَلِكُ سألَه في دَهشةٍ: مَن ردَّ علَيكَ بصرَكَ؟ فقالَ: ربِّي. قالَ المَلِكُ: أوَلكَ ربٌّ غَيري؟ قالَ الرجلُ: ربِّي وربُّك اللهُ.

وقعَتِ الكَلِماتُ علَى رأسِ المَلِكِ كالصّاعقةِ، وأمرَ بتَعذيبِ الرجلِ، فعذَّبُوه عَذابًا شَديدًا حتَّى دلَّ علَى الغُلامِ، فأَحضرُوه لِلمَلِكِ، فقالَ لَه المَلِكُ: أَيْ بُنيَّ قَدْ بلغَ مِن سِحرِكَ أَنْ تُبرِئَ الأَكمَهَ (تَشفي الأعمَى) والأبرصَ، وتَفعلَ وتَفعلَ؟ فردَّ الغُلامُ بحَزمٍ: إنِّي لا أَشفي أَحدًا، إنَّما يَشفي اللهُ تَعالَى. فاشتعلَ المَلِكُ غَيظًا، وصرخَ مناديًا حُرّاسَه، وأمرَهُم بأَنْ يأَخُذُوا الغُلامَ ويُعذِّبُوه أشدَّ العَذابِ، فعذَّبُوه حتَّى دلَّ علَى الرّاهبِ.

فذهَبُوا إلَى الرّاهبِ، فساقُوه إلَى المَلِكِ، فأمرَهُ أَنْ يَرجِعَ

عَن دِينِه فرفضَ، فوَضَعَ المِنشارَ علَى رأسِه عسَى أَنْ يَخافَ ويَكفرَ بربِّه، ولكنَّه ازدادَ إصرارًا علَى إيمانِه، فشقَّه نِصفَينِ، وفعلَ نفسَ الشيءِ معَ جَليسِه.

وبالرَّغمِ مِن ذلكَ لَمْ يَهتزَّ الغلامُ، وثَبَتَ علَى إيمانِه، فلَمّا رأَى المَلِكُ ألّا فائدةَ مِن تخويفِه، أمرَ جنودَه بأَنْ يأخذُوهُ ويُلقُوهُ مِن أعلَى الجبلِ إِنْ لَمْ يَرجِعْ عَن دِينِه، فلَمّا أَقدمُوا علَى ذلكَ قالَ الغُلامُ: اللَّهُمَّ اكفِنيهِم بما شِئتَ. فاهتزَّ الجبلُ بهِم، فوقعُوا جَميعًا وعادَ الغُلامُ سالِمًا إِلَى المَلِكِ، فلَمّا رَآه قالَ مُتعجِّبًا: ما فعلَ أَصحابُك؟ (يقصِدُ الحُرّاسَ الَّذين صَحِبُوه) فقالَ الغُلامُ بثِقةٍ: كفانيهِمُ اللهُ تَعالَى.

فأمرَ المَلِكُ أَنْ يَحملُوا الغُلامَ في سَفينةٍ إِلَى عُرضِ البَحرِ، ثُمَّ يَرمُوا بِه هُناكَ لِيَغرقَ، فلَمّا ذَهبُوا بِه قالَ: اللَّهمَّ اكفِنيهِم بما شِئتَ. فانكفأَتْ بهِمُ السَّفينةُ، فأغرقَهُمُ اللهُ، وجاءَ الغُلامُ يَمشي إِلَى المَلِكِ، فسألَه المَلِكُ: ما فعلَ أصحابُكَ؟ فقالَ الغُلامُ: كَفانيهِمُ اللهُ تَعالَى.

ثُمَّ قالَ للمَلِكِ: إِنَّكَ لستَ بقاتلي حتَّى تفعلَ ما آمرُكَ بِه، فإِنْ أنتَ فعلْتَ ما آمرُكَ بِه قتلتَني. فسألَه المَلِكُ: ما هوَ؟

قالَ الغُلامُ: تَجمَعُ النّاسَ في صعيدٍ (مكانٍ) واحدٍ، ثُمَّ تَصلُبُني علَى جِذعٍ، وتأخذُ سَهمًا مِن كِنانتي، ثُمَّ تَقولُ: باسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ. ثُمَّ ارمِ بِه، فإنَّكَ إذا فعلْتَ ذلكَ قتلتَني.

وحارَ المَلِكُ في أمرِ هَذا الغُلامِ، ولَمْ يَستطعْ أَنْ يَفهَمَ ما يَقصِدُه، إلّا أنَّه رأَى أَنْ يَتخلَّصَ مِنه، فجمعَ النّاسَ، وصلبَ الغُلامَ علَى جِذعِ شَجرةٍ، وأخذَ سَهمًا مِن سِهامِ الغُلامِ، ووضعَه في القَوسِ، وشدَّ الوَتَرَ، وصوَّبَ السَّهمَ نحوَ صُدغِ الغُلامِ، ثُمَّ رفعَ صَوتَه بحَيثُ يَسمعُه جميعُ النّاسِ، وقالَ: باسمِ اللهِ رَبِّ الغُلامِ. ثُمَّ رماهُ بِه فأَصابَه، فوضعَ الغُلامُ يدَه علَى مَوضِعِ السَّهمِ، ثُمَّ ماتَ. فلَمّا رأَى القومُ ذلكَ قالُوا: آمنّا برَبِّ الغُلامِ.

فقالَ أصحابُ المَلِكِ: أرأَيتَ ما كُنتَ تَحذَرُ؟ لقَدْ آمنَ النّاسُ كلُّهُم! فاشتعلَ قلبُ المَلِكِ غَيظًا، وأمرَ بتَعذيبِ هَؤلاءِ القومِ والتَّنكيلِ بِهِم حتَّى يَرجِعُوا عَن دينِهِم، ولكنَّهُم ثَبَتُوا علَى إيمانِهِم، وصبرُوا علَى ذلكَ البَلاءِ.

وأدركَ المَلِكُ أنَّ العَذابَ لَنْ يَثنيَهُم عَن عَزمِهِم، فأمرَ جُنودَه بأَنْ يَحفِرُوا أخاديدَ (حُفرًا عميقةً)، ويُشعلُوا فيها نِيرانًا هائلةً، ثُمَّ يُحضرُوا مَن آمنَ باللهِ إلَى النّارِ، فمَن رجعَ مِنهُم

عَن دينِه تَركُوهُ، ومَن ثبَتَ ألقَوْه فيها، وجلسَ هوَ وحاشيَتُه لِيُشاهِدُوا عذابَ المُؤمنينَ.

وقَدْ ذكرَ اللهُ ﷻ قصّةَ أصحابِ الأُخدودِ، فقالَ تَعالَى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١-١٠].

ولَمْ يَرجِعْ عَن دينِه أحدٌ مِمَّن آمنَ، فأخذَ الكُفّارُ يُلقونَهُم في النّارِ أفواجًا، والمُؤمنونَ ثابتُونَ، لا يَهابونَ المَوتَ، ويُقبلُون علَيهِ بقُلوبٍ مُطمئنّةٍ، وهُم علَى يقينٍ مِن أَنَّ اللهَ سُبحانَه يَدَّخِرُ لَهُم خَيرًا مِنَ الدُّنيا وما فيها: جَنّاتٍ عرضُها السّماواتُ والأرضُ، ونَعيمًا دائمًا لا يَزُولُ.

وتوعَّد اللهُ أصحابَ الأُخدودِ (المَلِكَ وأتباعَه) بسُوءِ العاقبةِ جَزاءَ كُفرِهِم وإصرارِهِم علَى المَعصيةِ، فاستحقُّوا ما أعدَّه اللهُ لَهُم مِنَ العَذابِ الأليمِ.

قصّةُ أهلِ الكَهفِ

في قَديمِ الزَّمانِ، كانَ هُناكَ فِتيةٌ يَعبُدُونَ اللهَ سُبحانَه، وكانَ قَومُهُم يَعبُدُونَ الأصنامَ، وقَدْ أَنعمَ اللهُ علَى هَؤلاءِ الفِتيةِ بالعَقلِ الرّاجِحِ، وأَنارَ قلوبَهُم بالإيمانِ، فابتعَدُوا عَنْ عِبادةِ هَذِهِ الأصنامِ الّتي لا تَنفعُ ولا تَضُرُّ.

وعَلمَ الكافرُونَ بخَبرِ الفِتيةِ، فاضْطَهدُوهُم وحاولُوا إجبارَهُم علَى عبادةِ الأصنامِ، لكنَّهُم ثبَتُوا علَى إيمانِهِم، وأعلَنُوا أمامَ الجَميعِ أَنَّ العِبادةَ لا تكونُ إلّا للهِ وحدَه. يَقولُ تَعالَى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

لكنَّ الكُفّارَ زادُوا في إيذائِهِم، وهدَّدُوهُم بالقَتلِ؛ فخافَ الفِتيةُ أَنْ يَفتِنَهُم قومُهُم، ويرُدُّوهُم إلَى ظُلُماتِ الكُفرِ. فاتَّفقُوا علَى أَنْ يَعتزِلُوا قومَهُم، ويفِرُّوا بدينِهِم مِن تلكَ الفِتنةِ، واتَّجهُوا إلَى كهفٍ يَحتمُونَ بِه مِن هَؤلاءِ المُشركينَ، واصطحبَ أحدُهُم معَه كلبَه الأَمينَ. يَقولُ تَعالَى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ

أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾.

ولَمّا دخلُوا الكهفَ ألقَى اللهُ علَيهِمُ النَّومَ فنامُوا، ومعَهُم كلبُهُم باسطٌ ذراعَيهِ وراقدٌ علَى بابِ الكَهفِ. وأرادَ اللهُ سُبحانَه أَنْ يَجعلَهُم آيةً وعِظةً لِمَن يَشكّونَ في البَعثِ بَعدَ المَوتِ مرّةً أُخرَى، فأَنامَهُم زَمنًا طويلًا. قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ أي ثَلاثَمِئةٍ وتسعَ سنواتٍ هِجريةٍ، وهيَ تُعادلُ ثَلاثَمِئةِ سنةٍ شمسيةٍ تقريبًا.

وقَدْ حَفِظَهُمُ اللهُ تَعالَى، فلَمْ تَأكلِ الأرضُ أجسادَهُم، وكانُوا يتقلّبُونَ يَمينًا وشِمالًا، وكانَتْ تَدخلُ الشَّمسُ علَيهِم كَهفَهُم عندَ الشُّروقِ وعندَ الغُروبِ. يَقولُ تَعالَى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾.

وكانَ منظرُهُم وهُم نائمُونَ يدعُو إلَى الرُّعبِ. وظلُّوا علَى تلكَ الحالِ حتَّى بعثَهُمُ اللهُ مِن نَومِهِم، فأخذُوا يَتساءَلُونَ عَنِ المُدّةِ الّتي نامُوها. قالَ تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾. فاعتقدُوا جَميعًا أنَّهُم نامُوا يَومًا كاملًا أَوْ جُزءًا مِن يَومٍ، وأَحسُّوا بالجوعِ، فأرسلُوا واحِدًا مِنهُم ببَعضِ المالِ ليَشتريَ لَهُم طَعامًا، وأوصَوْه بالحذَرِ حتَّى لا يقعَ في أيدي الكُفّارِ، فيَعثُرُوا علَيهِم، ويُعيدُوهُم إلَى الكُفرِ بالقُوّةِ.

فدخلَ الرجلُ القريةَ مُتخفِّيًا في حذَرٍ شديدٍ؛ حتَّى لا يتعرَّفَ علَيهِ أحدٌ، فيَنكشفَ أمرُه. ووقفَ عندَ أحدِ الباعةِ لِيَشتريَ مِنه بعضَ الطّعامِ، والنّاسُ يُتابعُونَه بنَظَراتِهِم. وعِندَما أخرجَ النُّقودَ للبائعِ، نظرَ البائعُ إلَيها في دَهشةٍ، وقالَ لَه: ما هَذِه النُّقودُ؟ ومِنْ أينَ أتيتَ بها؟ وكانُوا لا يَتعاملُونَ بتِلكَ العُملةِ القَديمةِ، فارتبكَ الرجلُ، وظهرَتْ علَى وجهِه علاماتُ القلَقِ، فعرفَ البائعُ حقيقةَ الرجلِ وشاعَ خبَرُه بينَ النّاسِ، وعَلمُوا مِنه القِصّةَ.

وكانَ أهلُ ذلكَ الزَّمانِ أُناسًا صالحينَ فصدَّقُوا قِصّتَه،

وعَلمُوا أنَّه أحدُ الفِتيةِ الَّذينَ رحلُوا مِنَ المَدينةِ أيّامَ الحاكمِ الظّالمِ. وعرفَ القومُ أنَّ هَؤلاءِ هُمُ الفِتيةُ الَّذينَ فرُّوا بدينِهِم مُنذُ ثَلاثِمئةِ سَنةٍ، وأدركُوا أَنَّ ما حدثَ لَهُم آيةٌ مِن آياتِ اللهِ، بَلْ معجزةٌ مِن مُعجزاتِه الكُبرَى الَّتي تَدلُّ علَى أنَّه لا شكَّ في البَعثِ بَعدَ المَوتِ يومَ القِيامةِ.

فأخذُوا الرجلَ معَهُم، وذهبُوا إلَى الكَهفِ حتَّى يَلتقُوا بهَؤلاءِ الفِتيةِ الصّالحينَ، فيُشاهِدُوا تلكَ المُعجزةَ بأعيُنِهِم.

ولَمْ يَقضِ القومُ معَهُم وقتًا طَويلًا، فقَدْ جاءَ الأجَلُ، وأماتَ اللهُ أهلَ الكَهفِ بعدَ أَنْ أدَّوْا مُهمَّتَهُمُ العظيمةَ في الحياةِ، وتركُوا للنّاسِ العِبرةَ والعِظةَ. يَقولُ تَعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾. واختلفَ النّاسُ في أمرِهِم فمِنهُم مَن قالَ: سُدُّوا علَيهِمُ الكَهفَ، وابنُوا علَيهِم بُنيانًا، واتركُوا أمرَهُم للهِ، ومِنهُم مَن أرادَ أَنْ يَبنيَ علَى مكانِهِم مَسجِدًا. يَقولُ تَعالَى: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١].